

تفسير ابن كثير

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

[بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل] تفسير سورة التوبة ،

مدنية . هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

كما قال البخاري . حدثنا [أبو] الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء

يقول : آخر آية نزلت : (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) [النساء : 176] وآخر

سورة نزلت براءة . وإنما لا يبسم في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في

المصحف الإمام ، والاقتراء في ذلك بأمر المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه

وأرضاه - كما قال الترمذي : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعد ، ومحمد بن

جعفر وابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف قالوا : حدثنا عوف بن أبي جميلة أخبرني يزيد

الفراسي ، أخبرني ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم أن عمدتم إلى

الأنفال ، وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المثين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما

سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطول ، ما حملكم على ذلك ؟

فقال عثمان : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، فإذا نزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها وحسبت أنها منها ، وقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) فوضعها في السبع الطول . وكذا رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق أخر ، عن عوف الأعرابي ، به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم ، فبعث أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أميرا على الحج هذه السنة ، ليقوم للناس مناسكهم ، ويعلم

المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا ، وأن ينادي في الناس ببراءة ، فلما قفل أتبعه بعلي

بن أبي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكونه عصبه له ، كما

سيأتي بيانه .فقوله : (براءة من الله ورسوله) أي : هذه براءة ، أي : تبرؤ من الله

ورسوله (إلى الذين عاهدتم من المشركين